

شخصيات عربية

obeikandi.com

العقاد • ابن أسوان العملاق

في الثاني عشر من مارس عام ١٩٦٤ توفي العقاد عن خمسة وسبعين عاما في بيته العتيق بمصر الجديدة بالقاهرة ولكنه دفن في اليوم التالي بمسقط رأسه أسوان متحديا بذلك الرقم ١٣ الذي لم يكن يتشأء منه على الإطلاق ٠٠ فقد كان مسكنه يحمل هذا الرقم وحبس احتياطيا في سجن قرة ميدان لمدة تسعة أشهر ابتداء من ١٣ أكتوبر عام ١٩٣٠ .

ولد العقاد في ٢٨ يونيو عام ١٨٨٩ ، وانتقل الى القاهرة لأول مرة عام ١٩٠٤ ليعين موظفا ولكنه لم يستقر في أية وظيفة وعاش طوال حياته من قلمه الذي ساهم في تحريك ثورة الجماهير على المستعمرين عام ١٩١٩ .

بدأ حياته في العاصمة مستأجرا لحجرة صغيرة بثلاثين قرشا في الشهر ٠٠ وأول مقال كتبه نشر في جريدة الوطن وأول حديث صحفي أجراه مع سعد زغلول ناظر المعارف في عام ١٩٠٨ . ونشر بالدستور ٠٠ وكان « العقاد » يوقع مقالاته في بداية عمله الصحفي

في « الاخبار » القديمة التي كان يصدرها يوسف الخازن وتوفيق حبيب باسم (ع . الأسوانى) ٠٠

كان « العقاد » منحازا الى حزب الأقلية والى سعد زغلول زعيمه ، وكان يدافع عن القضية المصرية فحارب حربا ضارية من أجل الدستور وارساء الحياة النيابية ٠٠ هاجم الملك فؤاد عندما حاول تعطيل الحياة النيابية ووقف على منبر البرلمان ليقول قولته الشهيرة ، « ان شعبنا قادر على سحق أكبر رأس يتعرض لحرياته » ومن أجل ذلك هوجم واضطهد حتى في رزقه وكان مصيره السجن .

انتخب « العقاد » مرتين عضوا في مجلس النواب ، وعين مرتين عضوا في مجلس الشيوخ ٠٠ وكان أدبيا ، موسوعيا أو كان موسوعة أدبية ٠٠ فعقله يستوعب علوم الذرة كما يستوعب الشعر ٠٠ كانت مكتبته الخاصة تضم ٤٠ ألف كتاب في مختلف المعارف الانسانية العربية والأجنبية ٠٠ أما مؤلفاته فوصلت الى ٨٥ كتابا في الآداب والفنون والعلوم الانسانية والاسلاميات ، وأشهرها وأبرزها سلسلة « العبقريات » ٠٠

وكان « العقاد طويل القامة عنيذا ومعتزا بنفسه وكرامته ٠٠ علم نفسه بنفسه فلم يعبأ بالشهادات بعد أن قطع دراسته الثانوية ورفض « الدكتوراه الفخرية » بعد ذلك لأنه لم يجد من هو أكفأ منه ليقرر أن يمنحها له ٠٠ وكان شديد القسوة على نفسه حتى ان « سعد زغلول » وصفه بأنه « جبار خجول » فكانت له مواقف عتيقة مع خصومه وأصدقائه غلى السواء مصدرها الحق والمبادئ ومصلحة الشعب ٠٠ وهكذا لم يعتمد في شق طريقه الا على نفسه وبقوة عزمته وارادته الصلبة ٠٠ فحقق مكانة رفيعة بين ابناء وطنه وفي العالم العربى وفي أوساط كثيرة من العالم ٠٠ وحصل على جائزة الدولة التقديرية بعد حصول عميد الأدب العربى طه حسين عليها مباشرة ٠٠ فكثيرا ما كان العملاقان يوضعان على نفس

المستوى من التقدير الا أن عناده وكبريائه كثيرا ما كانا يجعلانه
يجيء في التكريم بعد طه حسين لهدوئه ومرونته . . .

أما « ندوة العقاد » الشهيرة فكانت تعقد يوم الجمعة من كل
أسبوع في بيته حيث يجتمع تلاميذه ومريديه ، فتدور المناقشات ويرد
على الأسئلة والاستفسارات بسعة صدر وأحيانا بالنكت الطريفة
والذكريات الأليقة بين أكواب الليمون وفناجين القهوة : ولم يكن
العقاد يغادر بيته الا ليحضر جلسات مجمع اللغة العربية الذى كان
عضوا فيه . . وجلسات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الذى
كان مقرا للجنة الشعر فيه .

قال العقاد عن نفسه : « اننى رجل مفرط فى التواضع ورجل
مفرط فى الرحمة واللين . . ورجل لا يعيش بين الكتب الا لأنه يباشر
الحياة . . رجل لا يفلت لحظة واحدة فى ليله ونهاره من سلطان
القلب والعاطفة . . ورجل وسع شذقيه من الضحك ما يملأ مسرحا
من مسارج الفكاهة فى روايات شارلى شابلن جميعا .

معارك العقاد

من أبرز معارك العقاد التى دارت على صفحات الجرائد
والمجلات تلك التى بدأها مع « مصطفى صادق الرافعى » ، فقد كان
العقاد والرافعى يتنازعا صداقة « سعد زغلول » وخبه وكان كل
منهما يسعى الى أن يكون كاتب الحزب فاحذ كل منهما ينقد سلوك
الأخر وكتاباته وكتبه ايضا ، نقد العقاد « اعجاز القرآن » ونقد
الرافعى « وحى الأربعين » . . ولكن الرافعى قبل أن يموت كتب
يقول « اما العقاد فانى أكرهه واحترمه . . أكرهه لأنه شديد الاعتداد

بنفسه قليل الانصاف لغيره ولعله أعلم الناس بمكانى فى الأدب ولكنه
ينعى على قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا أجرى معه فى عنان » .

ثم هاجم العقاد « أمين الرافعى » هجوما سياسيا ضاريا لأن
الرافعى كان ينتمى الى الحزب الوطنى ويريد أن يربط بينه وبين
حزب الوفد . . . وعندما توفى الرافعى كتب العقاد يرثيه : « رأيت
أميना فى قوة جسده وأميना فى قوة نفسه ورأيت كيف يعتمد الايمان
الجسوم النافية فهى منه فى ملا عزيز الحودة منيع الجانب » .

ثم نقد العقاد أحمد شوقى فى شعره وفى مسرحياته كما قال
عنه « استطاع أن يقم اسمه على الناس بالتهليل والتكبير والطبول
والزمر فى مناسبة وغير مناسبة وبحق أو بغير حق . . . ان المجد
عنده سلعة تقتنى ولديه الثمن فى الخزانة » وقال : « أن شعره بعمان
شائعة فى صياغة مقبولة ولعب لا يؤخذ صاحبه على خطأ . . . »

ثم هاجم العقاد « طه حسين » الذى هاجمه بدوره ولكنه كان
فى كل الأحوال ميلا لينا ، لم يصل الى ما عرف من عنف طه أو عنف
العقاد فى الخصومة حتى ان العقاد دافع عن كتاب طه حسين
« الشعر الجاهلى » وباع طه حسين العقاد أميرا للشعر وقال طه
حسين « لقد هاجمت العقاد فى غير موطن من مواطن الخصومة ،
خاصمته فى السياسة وخاصمته فى الأدب وخاصمته فى السياسة
والأدب أيضا ، ولكن هذه الخصومة لم تغض من مقدار العقاد فى
نفسى . وما أظن أن بين أتراب العقاد ومعاصريه من يقدره
مثلما أقدره أنا وأكبره ، وليس يعنينى أن يكون رأى العقاد فى كرايى
فيه . . . والذين عاصروا خصوماتى للعقاد يذكرون من غير شك
أننى أثنت على أدبه فى جريدة السياسة حيث كانت الخصومة بين
الوفد والدستوريين كأعنف ما تكون الخصومات وقد كانت الحرب
سجالا بينى وبينه ولم يمنعه ذلك من أن يقوم مقام الرجل الكريم فى

مجلس النواب يدافع عنى حين كان الوفديون جميعا على « حربا » .
 ثم هاجم العقاد « محمد حسين هيكل » و « لطفى السيد »
 و « مكرم عبيد » و « زكى مبارك » وأخيرا « توفيق الحكيم » الذى
 كتب يقول ردا على مقال للعقاد « وفى الحق لم أجد بالمقال الرقة التى
 كنت أنتظرها واستاء فى نفسى من الأستاذ العقاد بعض الأشياء
 وأنا الذى يعتقد دائما أنه يخفى وراء قناع الكبر والتكبر نفسا
 طيبة تتفجر اذا اطمأنت بأجمل عاطفة وأنبل احساس » .

شاعرية العقاد

كتب صلاح عبد الصبور يقول : اذا كان الشاعر من تعرفه
 بشعره فالعقاد شاعر من شعراء العربية المتميزين ذلك لأن العامة
 يستطيع حين يقرأ شعر العقاد أن يميزه عن شعر سابقه ومعاصريه
 وان يدرك أن لهذا القلم العنبر رؤيته الخاصة ولغته المتميزة
 وموضوعاته الأثيرة . . . وتلك ثلاث خصال هى من امارات
 الشاعرية » .

ومن أشعار العقاد هذه الأبيات :

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى

شوقى اليك وما أشاق لمغنى

شوقى اليك يكاد يجذب لى غدا

من وكره ويكاد يطفر من فهمى

أسرع بأجنحة السماء جميعها

أن لم يطعك جناح هذى الانجم

ودع الـشموس تـسير في داراتها وتـخطها قبل الأوان المبرم

العقائد فيلسوفيا

وقال الدكتور عثمان أمين - رحمه الله - عن فلسفة العقاد :

« العقاد رائد من رواد الوعي الانساني في الشرق العربي ،
وأثر العقاد في حياتنا الروحية أثر لا سبيل الى اغفاله أو التهوين
من قدره مهما تقول المتقولون ومامن شك عند المنصفين أن النهضة
الفكرية المصرية قد بلغت بجهده ويقظته مرحلة لم تكن لتبلغها بدونه
فهو في تاريخ أمتنا العربية « معلمة » ضافية شاملة لم ينقطع يوما
في حياته الزاخرة عن اعمال ذهنيه تطلعا الى المعرفة وتأملا في الكون
وتقصيا لاسرار النفس حتي ظفر بمقام « الإبتنائية » بمعناها
الصحيح . . فكان في أجاديثه ومقالاته ومؤلفاته أستاذًا أصيلا ضليعا
واستيطاع في حياة قلمه المياعة المتعديدة الجوانب أن يؤدي في جيب
واخلاص - المهمة الرئيسية لكليات الانسانيات في جامعات العصر
الحديث واضحى نورا باهرا يشع على مجالات الأدب والصحافة
والسياسة والتاريخ والفن والدين . . »

العقاد والفنون التشكيلية

وقال بدر الدين أبو غازي - رحمه الله - : « ليس من جيل
العقاد مفكر أو اديب مثله عكست كتاباته واهتماماته بالفنون
وأفصح منذ البدء عن وجهة نظر بل عن يقين في ضرورة الفن

للمجتمع ، وعن مدلول الفن الجميل في نظره ، ومصاحبة العقاد في كتاباته تطلعنا على منهج متماسك في النظر الى الاعمال الفنية ويصدر عن خلفية فلسفية لمعنى الجمال عنده ٠٠ ويقدم أمثلة تطبيقية تشير الى ذوقه ومطالبه من العمل الفني ، وتجدد مدارس وأعمالا يؤثرها بحبه » ٠٠

وبعيد هذا كله كان العقاد مؤرخا وسياسيا واسلاميا كما كانت له مواقف كثيرة ومتنوعة ٠٠ لقد كان بحق عملاقا لا يتكرر في تاريخ مصر الزاخر بالرجال والمواقف ٠٠

ومن حق أسوان أن تفخر بالعقاد ابنا بارا وعلما متميزا ، يكفيه عطاء لها أن ولد فيها ودفن فيها ٠٠ فماذا ردت له من جميل ؟ فالعقاد يستحق ولاشك الكثير ونحن ننتظر ولاشك أيضا الكثير ٠٠

طه حسين .. من جنوب الوادى

على بعد كيلو واحد من « مغاغة » مركز « المنيا » وفى قرية « الكيلو » بالتحديد ولد « طه حسين » الذى عاش حياة فقيرة أدت الى فقدانه بصره والانتقال الى القاهرة ليدرس دراسة عادية بالأزهر الشريف .. ولكن الطفل الذى تحدى ظروفه الاجتماعية والشخصية .. لا يكفى بدراسات الأزهر فليتحق بالجامعة المصرية ويتفوق فى دراسته حتى يحصل على أول دكتوراه .. بل ويخرج الى الحياة الثقافية والسياسية فيشارك بالمقالات والآراء الجديدة الجريئة ليتوج طموحه بالحصول على « بعثة دراسية الى فرنسا » فينهل من الثقافة الغربية والحضارة الأوروبية دون أن ينفصل عن ثقافته وحضارته ويعود ليتولى عمادة كلية الآداب التى تخرج فيها ثم مديرا للجامعة ثم وزير للمعارف ليطلق صيحته الشهيرة مطالبا بأن يصبح العلم كالماء والهواء حقا لكل مواطن ..

وفى الذكرى السادسة لرحيل ابن الصعيد عميد الأدب العربى ، احتفلت كلية الآداب بجامعة القاهرة بهذه الذكرى واقامت مهرجانا لمدة أسبوع بدأته بندوة علمية موسعة شارك فيها من أسبانيا « بدورماتنيز » متحدثا عن « بيئة طه حسين الأدبية وجيل ١٨٩٨ » و « كارمن رويت » متحدثه عن « طه حسين وايوخين نيودرويس » ومن ايطاليا تحدث « امبرتو ريتسيتانو » عن « طه حسين والاستعراب الايطالى » .. ومن أمريكا تحدث « واستسن كاول » عن « منهج طه حسين فى نقده لشعر المتنبنى » .. ومن انجلترا تحدث « محمد مصطفى بدوى » عن « نظرة أخرى فى طه حسين الناقد الأدبى » .. ومن تونس تحدث « محمد عبد السلام المسدى » عن « الترجمة الذاتية

بين الاسقاط النفسى والبناء الانشائى فى كتاب الأيام « ٠٠ ومن الكويت تحدث « ترفيق الفيل » عن « طه حسين رائدا للبحث البلاغى الحديث » ٠٠ ومن مصر تحدث « محمود فهمى حجازى » عن « الرؤية الثقافية عند طه حسين » وتحدثت « أنجيل بطرس » عن « الاحساس بالمكان فى الأيام » ٠٠ وتحدثت « أمال فريد » عن « أثر الثقافة الفرنسية على مؤلفات طه حسين » ٠٠ وتحدث « عز الدين اسماعيل » و « رجاء عيد » و « محمد عويس » عن « أعمال طه حسين » ٠٠

وبعد هذه الندوة التى قرر الدكتور « حسين نصار » ضم أبحاثها فى كتاب تصدره جامعة القاهرة ، أقيم بالمكتبة المركزية بالجامعة معرض لكتب طه حسين المختلفة والتى صدرت فى اللغات الأخرى .

كما افتتح بقصر المانسترلى بالمنيل تحت اشراف « عباسى شهدى » نقيب التشكيليين الأسبق معرض يضم اللوحات والتماثيل والأعمال الفنية التى اتخذت من طه حسين مادة وموضوعا لها ٠٠ وعرض فيلم « قاهر الظلام » فى عرض خاص شاهده المحتفلون بذكرى طه حسين السادسة .

وفى الليلة الختامية للمهرجان أقيم بالمسرح القومى حفل ضم أمسية شعرية وأخرى مسرحية ٠٠

وقد اشترك عدد من الشعراء بقصائدهم التى ألّفوها بأنفسهم وهى فى معظمها تتحدث عن طه حسين كظاهرة وحقيقة ٠٠ أما المسرحية فتحمل هذا الاسم « العمر قضية » وهى مسرحية تسجيلية كتبها الدكتور « سمير سرحان » والدكتور « محمد عنانى » وأخرجها « فهمى الخولى » وقام بالتمثيل هواة المسرح بجامعة القاهرة .

وقد اعتمد الكاتبان على « أيام » طه حسين بصفة خاصة في تصوير حياته ومواقفه كما اعتمدا على مؤلفاته الأخرى في تأكيد تأثيره على الحياة الثقافية في مصر وفي الوطن العربي ، ثم رجعا الى التاريخ المعاصر ليجسدا معارك طه حسين الفكرية والسياسية .

وجاء العرض شريحة حية من حياة العميد وأدبه وفكره . . . وفي هذا الاطار التسجيلي الذي لا يخلو من رأى ووجهة نظر تناول المخرج النص تناولا فنيا رغم الاحكانات الضعيفة فى الديكورات والملابس والعناصر التمثيلية المحدودة . . فاستطاع أن يشكل المكان الواحد بايحاءات بسيطة ومتنوعة ، لينقلنا من مكان الى آخر بسهولة ويسر . . وكان أهم ما قدمه لنا فى هذا العرض اكتشافه لعدد من المواهب الجامعية التى تستطيع اذا أرادت أن تحترف التمثيل أن تشق طريقها وسط الزحام حتى تصل الى الصفوف المتقدمة . . « نظيمة ماجد » التى أدت دورى الراوية ومى ، فكانت شعاعا من النور الفياض والحركة المتدفقة والتعبير البكر الصادق . و « منى ابراهيم » التى أدت دورى الرواية وسوزان ، فوازنت بدقة بالغة بين أسلوب المسرح التسجيلي فى عرض الأحداث دون تدخل وأسلوب المسرح الدرامى قصورت شخصية زوج العميد بأحاسيس صادقة وعاطفة فياضة . .

د . هيكـل . . وجمعيته الثقافية

أن تتكون جمعية ثقافية جديدة بعد أن توقفت ظاهرة تكوين الجمعيات وأن تبدأ نشاطها بهذه البداية الطيبة وهي إقامة حفل أو احتفال أدبي نقابي رسمى على مستوى رفيع تخليدا لذكرى المرائد المفكر الصحفى الدكتور محمد حسين هيكل الذى تحمل الجمعية اسمه فى مناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على رحيله فى وقت تقلص فيه أو كاد نشاط الجمعيات الأخرى المكونة بالفعل يعد حدثا كبيرا وجليلا فى حياتنا الثقافية اليوم . .

هذا الحدث الثقافى الكبير والجليل قادر ولاشك على تجديد التيار وتحريك المناخ وجلب نسمة أو نسمات كفيفة بخلق جو من الحيوية واليقظة والنهضة المفقدة منذ وقت طويل . . طويل . .

فالى جانب احياء ذكرى الدكتور هيكل والعمل على احياء ذكرى عدد كبير من الرواد الاوائل تعد « الجمعية » برنامجا حافلا على مدار العام يتضمن ندوة أو محاضرة شهرية لمناقشة الانتاج الأدبى - رواية أو مسرحية أو ديوان أو مجموعة قصصية أو دراسة - والظواهر والقضايا الثقافية فضلا عن المسابقة السنوية ذات الجوائز المادية والأدبية التى تتناول فى كل عام جانبا من جوانب الدكتور هيكل المتعددة والمتنوعة والسعى الجاد لنشر الأبحاث التى ترقى الى المستوى الجيد اللائق ، فى المجالات المتخصصة أو فى كتب تصدرها الجمعية على نفقتها الخاصة . . فقد رصدت « أسرة المفكر الراحل » مبلغا سنويا بالاضافة الى ريع كتبه للانفاق على اغراض الجمعية الثقافية .

ولاشك أن انتخاب مجلس إدارة الجمعية من الطاقات المبدعة
الرصينة والشابة يرأسه شيخ الصحفيين الأستاذ حافظ محمود ابن
الدكتور هيكل الروحي وتلميذه البار لمؤشر مبشر بعباء سخي وجهود
وفير وفكر واع من شأنه فتح آفاق جديدة نرنو اليها جميعا وتحقيق
أهداف سامية نتطلع اليها بشوق وحماس ..

ولعل الحجر الصغير الذى يحرك ولو جزء من المياه الراكدة
يصبح دافعا للحجار الصلدة الأخرى للمشاركة فى اذابة الجليد
وجريان الماء عذبا رقراقا .

وهذا ما حدث بالفعل فى اليوم الذى أعلنت فيه الجمعية
عن احتفالها الكبير فقد قررت كلية الاعلام ورابطة الأدب الحديث
وكرمة ابن هانىء والنادى الثقافى المصرى وجامعة المنصورة وقصر
ثقافة المنصورة اقامة ندوات وأمسيات وحلقات دراسية تتناول
جميعا شخصية الدكتور هيكل وفكره مشاركة منها تكتيفا وتعميقا
كذلك ساهم « التليفزيون » و « الاذاعة » بالعديد من برامجهما .

كما ساهمت الصحف والمجلات بالكثير من الاخبار والمقالات
والقصائد وأهم من هذا كله أن تلامذة ومحبى الشاعر الكبير « عزيز
أباطة » فكروا بالفعل فى تكوين جمعية ثقافية تحمل اسم الشاعر
الراحل تبدأ نشاطها بالاحتفال بالذكرى العاشرة لرحيله .

أليست هذه الفكرة ثمرة سريعة وإن كانت تنتظر الاقتطاف
شأنها شأن ثمار أو أفكار أخرى ستخرج حتما وقريبا الى دائرة
الضوء والنور .

الحكيم ٠٠ في ميلاده الخامس والثمانين

في التاسع من أكتوبر عام ١٩٨٣ بلغ شيخ مفكرينا وأدبائنا « توفيق الحكيم » عامه الخامس والثمانين ٠٠ وبرغم اشستهاره بالبخل الشديد ، الا أن أسرته كانت تتمتع بشيء من الثراء والكرم، فقد ولد في ظل تلك الأسرة الثرية الكريمة بالاسكندرية في التاسع من أكتوبر عام ١٨٩٨ ، وحصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٢٤ وانخرط في السلك القضائي مثل والده المستشار المرموق ٠٠

ولكن الحكيم البخيل الأديب الفنان ، أثر أن يختلف عن أسرته في كل شيء ، فاشترك في الحركة الوطنية بالتظاهر مع الطلبة وشارك في الحركة الفنية بكتابة مسرحيات تهاجم الانجليز وأشهرها مسرحية « الضيف الثقيل » كما ساهم في الحركة الاجتماعية الآخذة في التغير بمسرحيات تعالج مشكلات المرأة الجديدة مثل « المرأة الجديدة » و « جنسنا اللطيف » و « الخروج من الجنة » ٠٠

والواقع أن والده أراد أن يبعده عن كل هذه التيارات – الفاسدة من وجهة نظره – فأرسله على نفقته الخاصة الى باريس للحصول على الدكتوراه ، ولكنه ساعده في الحقيقة على التواجد في الجو الفني الذي كان يحلم به ، وهكذا عاش الحكيم وعاش المسرح والمسرحيين دون أن يذهب الى الجامعة أو يختلط بالجامعيين ولو مرة واحدة وعاد بعد ثلاث سنوات ليعمل – رغما عنه – وكيلًا للنائب العام بالمحاكم المختلطة ، ثم ترك النيابة وعمل بوزارة المعارف العمومية فوزارة الشئون الاجتماعية فمديرا لدار الكتب فمندوبا مقيما لمصر باليونسكو بباريس مرة أخرى ٠٠ وعندما عاد الى مصر

هذه المرة ترك العمل والوظيفة نهائيا ليستقر بجريدة الاهرام كاتباً
متفرغاً ورئيساً فخرياً لمجلس الادارة .

فى هذه الفترة المليئة بالتنقل والعمل والحركة كتب الحكيم أهم
وأخصب انتاجه من رواية ومسرحية ومذكرات ودراسات فكتب
يوميات نائب فى الارياف .. وذكريات فى الفن والعدالة .. وعصفور
من الشرق .. وزهرة العمر .. وأهل الكهف .. وعودة الروح ..
ثم أخذت المطبعة تتلقى انتاجه وأخذ القراء يتلقفون هذا الانتاج
وأبرزه : السلطان الحائر .. والصفقة .. والورطة .. وشمس
النهار .. والطعام لكل قم .. وياطالع الشجرة .. وتحت شمس
الفكر .. وشجرة الحكم .. وسجن العمر ، حتى وصل مجموع
انتاجه الى ما يعادل سنوات عمره .. وهى ظاهرة لم تحدث الا
بالنسبة للعقاد وأنيس منصور - كمثالين بارزين - وعدد قليل آخر
من الكتاب والمفكرين .

لا يصبح غريبا بعد هذا ، أن يؤثر توفيق الحكيم فى كتاب جيله
والأجيال التالية ، ليس فى مصر وحدها ، ولكن فى الوطن العربى على
أقل تقدير ، وان لم يكن قد تأثر به كتاب فى الشرق والغرب ، خاصة
بعد أن ترجمت معظم مؤلفاته الى العديد من اللغات فى مقدمتها
الفرنسية والانجليزية والايطالية والروسية والاسبانية واليونانية
والألمانية ، بل وعرضت بعض مسرحياته على مسارح العديد من دول
العالم النشء الذى لم يحظ به كاتب عربى آخر ، بل أى كاتب من
العالم الثالث أجمع ..

وعلى الرغم من كل هذا ، وعلى الرغم من صندوق عشرات
الكتب عن حياة الحكيم وطرائفه وأحاديثه ومسرحه وفكره ، وعلى
الرغم أيضا من فوزه بأعلى الجوائز وحصوله على أرفع الأوسمة
ومتعته بتقدير الرؤساء والكتاب والقراء ليس فى مصر وحدها ، ولا

في الوطن العربي بأسره ولكن في العالم أجمع ، الا أن « الجائزة
المفروضة » المعروفة باسم « نوبل » تعمدت الا تشرف بوضع اسم
« الحكيم » في قائمة الفائزين بها على مر السنين ٠٠

الأمر الذي لا يضيره ولا يرفع من شأنه في الوقت نفسه ٠٠
فقدرة ومقدرته محفورتان في ضمائرنا كما ستحقران في سجل
التاريخ ٠٠

السباعى ٠٠ والخلاص بالحب

كان - ولا يزال - مسرحنا المصرى يعانى من أزمة حادة ٠٠ وكنت - ولا أزال - انتقده بشدة مستهدفا ، بجهدى المتواضع الى جانب قلة من المتحمسين المخلصين الخالصين ، تقويمه وترشيده ٠٠ وكان - ولا يزال - المسرحيون والمسؤولون عن المسرح يفضون لكلماتى ويبالغون فى غضبهم الى حد الخصام - ولدرجة العراك ٠

وعندما تولى « يوسف السباعى - مهام وزارة الثقافة والاعلام دس له المغرضون وأخذوا يعمقون الفجوة بينه وبينى رغم صلتى الضعيفة به ، فلم أكن بغير عمد أو سبب من المقربين اليه ٠٠ الى أن دعانى شاعرنا الصديق « صلاح عبد الصبور » للقاءه وتفويت الفرصة على الموتورين ٠٠ وذهبت اليه حاملا عددا من الأسئلة المباشرة حول « أزمة المسرح » فاستقبلنى بوجه بشوش خال من أية ملامح للضيق أو التبرم على عكس ماتوقعت ٠٠ وحدد لى موعدا آخر للرد على أسئلتى الجريئة - كما وصفها - ولكن الظروف الخارجة عن ارادتنا شاءت الا يتم هذا اللقاء حتى تركه للوزارة ٠٠ وتشاء الظروف مرة أخرى أن التقى به صدفة فى « مصعد الاهرام » بعد فترة من توليه رئاسة مجلس ادارته ورئاسة تحريره ، فידعونى بروح الفارس الى مكتبه ليسألنى بلا مقدمات سؤالا محددا « أنت شيوعى ؟ » فأجيبه بلا تردد اجابة قاطعة « لا » ٠٠ وعلى الفور طلب منى أن أواصل الكتابة فى النقد ولكنه طلب عنى أيضا الا أكتب عن شئ مسرحية كانت أو كتابا أو شخصا الا اذا أحببته حتى لا يتحول النقد الى تجريح وحتى لا أفقد حب الآخرين أو تفاديا للعداوات على أقل تقدير ٠٠ واتفقنا على هذا المبدأ ٠٠

وبعد رحيل أديبنا الفارس وفارسنا الأديب واستشهاده فوق
ساحة الحب في يوم المولد النبوي الشريف - دليل طهارة النفس
وصدق الايمان - لم أجد صعوبة في العثور على الاجابة التي لم ترحل
فهي قائمة وباقية في كل كتاباته وكل كلماته وخاصة فيما كتب
للمسرح ٠٠ في « أم رتيبة » سنة ١٩٥١ ، في « وراء الستار » سنة
١٩٦٢ ، في « جمعية قتل الزوجات » سنة ١٩٦٥ ، في « أقوى من
الزمن » سنة ١٩٧١ ، وفي « العمر لحظة » و « الحرب والسلام »
سنة ١٩٧٤ ٠٠ ففيها جميعا يؤكد ان الخلاص في الحب وللحب
وبالحب ٠٠

وهو ان يعنون كتابه الأخير بهذا العنوان الخلاق « مصر
المشكلة والحل » ، انما يعلمنا أيضا أن « الحب هو المشكلة وهو
الحل » ٠٠ على الرغم من أن الحب معه والحب له لم يكن مشكلة
على الاطلاق ٠٠ فقد عاش « يوسف السباعي » بالحب واستشهد من
أجل الحب ٠٠

ثروت أباظة .. الانسان والالتزام

ثروت أباظة الانسان قبل الأديب .. والأديب قبل الكاتب. ..
والكاتب قبل المسئول .. والمسئول قبل السياسى ..

بهذا الترتيب تتضح معالم شخصية الرجل ، الذى هاجمه الكثيرون عن غير حق ، واتهمه الكثيرون بالباطل .. وفى المقابل دافع عنه الكثيرون بشئ من المبالغة وامتدحه الكثيرون بقدر من المغالاة ..

وهكذا لم يجد من ينصفه ان سلبا أو ايجابا ، فلم يوضع فى مكانه ولم يذل مكانته ، بغض النظر عن كتبه التى ارتفع توزيعها وقدمت فى الاذاعة والتليفزيون والسينما وبغض النظر عن الكتب التى صدرت عنه وعن أعماله ، وبغض النظر عن جائزتى الدولة التشجيعية والتقديرية اللتين حصل عليهما فى عهدين سياسيين مختلفين ، وبغض النظر عن الحفلات والاحتفالات التى اقيمت تكريما له فى العديد من المناسبات ..

ولا ادعى انى منصفه أو مقدره حق قدره ، ولو بالايجاب ، لانى لن أكون ذلك المتحدث بالسلب ، وخاصة بعد أن عرفتته عن قرب ، وتعاملت معه فى العمل ، وشاركته أفراحه وشاركته أتراحى ..

ومن هنا أبداً بانسانيته التى يعرفها ويفيد منها أعداؤه قبل أصدقائه ، فهو ذلك الكريم عن سخاء لا عن ثراء ، وهو ذلك المعين عن ود لا عن أسر وهو ذلك المجامل عن تعاطف لا عن عطف ، وهو ذلك المساند عن حب لا عن كبر .. سواء كان ذلك على المستوى الشخصى أو على مستوى الخدمة العامة أو الخدمات المهنية والقنوية ، فى الجمعية العمومية لمؤسسة الاهرام وعلى رأس مجلس اتحاد الكتاب ونادى القصة كاملة حية ..

أما الأديب ثروت أباطه فهو الروائي الذى قدم أعمالا تتميز بالتجديد والتجدد وهو وإن كان يكن كل التقدير والاعزاز للرائد الكبير نجيب محفوظ ، واضعا إياه فى مكانة الاستاذ ، إلا أنه لم ينقل عنه أو يقلده أو يسير فى اتجاهه أو يسبح فى تياره كما أنه لا يعارضه أو يناقضه بالضرورة ، وإنما قد خط لأدبه قناة إقليمية خالصة يحاول من خلالها أن يستصلح أرض الرواية العربية الجرداء وأن يزرع فيها نباتا أصيلا لا نباتا شيطانيا أو دخيلا ٠٠ وهو إذ يستخدم الرمز الموحى والمعادل الموضوعى ، إنما يستعين بهما على المحظور والمحاذير لكى يعبر عن الواقع كشفا عن الحقيقة وصولا الى استعادة الحق والخير والحرية ٠٠

هكذا كتب « شىء من الخوف » و « هارب من الأيام » و « لقاء هناك » و « خيوط السماء » ٠٠

ومن أجل هذا ظل يدافع عن ثلاثيته المجيدة « الحق والخير والحرية » فى كتاباته الصحفية ، وبذلك الحدة التى تكشف عن غيرته وحرصه وإيمانه بما يكتب ، ليس ركوبا لموجة أو تقريبا لسلطان أو بوقا لحاكم ، رغبة فى مال أو منصب أو جاه ، بدليل أنه ظل الى وقت قريب بلا وظيفة أو عمل غير وظيفة الكاتب وعمله ، وبدليل أنه هاجم الحاكم فى أوج مجده وامتدح حاكم آخر بعد موته ٠٠

وعندما اسندت اليه مسئولية العمل الصحفى من قبل الدولة فى مجلة رسمية ثم فى جريدة شبه رسمية ، ظل ملتزما بمبادئه وآرائه، صادفت هذه المبادئ وتلك الآراء هوى السلطة أو لم تصادف هواها ٠٠

ولعل ثروت أباطه هو الذى أضفى – وربما دون أن يقصد أو يتعمد – بعدا جديدا ومذاقا خاصا لفكرة الالتزام أو قضية الالتزام ، بعد أن استأثر بها اليسار دون غيره من التيارات الأخرى ٠٠ فهو

بالمعنى العكسى أو المغاير ، ملتزم كل الالتزام ، متمسك به ، مترجع
على قمته ، لا يهادن ولا يجادل ولا يحاور ولا يلين ..

من هذا المنطلق دخل ثروت أباطة دنيا السياسة ، وان كانت
جذوره وأصوله قد لعبت ولاتزال تلعب دورا هاما مؤثرا وفعالا من
مقاعد الوزارات المختلفة والمجالس النيابية المتعددة والمنابر الشرعية
المتنوعة ، فوالده كان وزيرا للمواصلات وابن عمه وزير الكهرباء ،
أما هو فوكيل مجلس الشورى وعضو المجلس الأعلى للصحافة ..

ثم ، هل قاربت أو اقتربت من الانصاف ، انصاف الرجل بغير
تملق أو رياء ، بعيدا عن الافتعال والانفعال ؟

أنيس منصور ٠٠ كانت له أيام

بأسلوب شيق رشيق ، عذب رقيق ، ساحر دقيق ٠٠ وبلغت سلسلة جميلة ، سهلة بليغة ، عالية رفيعة ٠٠ بعبارات أخاذة وكلمات براقة ومعانى نافذة ٠٠ صاغ « أنيس منصور » كتابه الضخم العميق « فى صالون العقاد ، كانت لنا أيام » .

والكتاب (٧٠٠ صفحة من القطع الكبير و ١٥٥ صورة فوتوغرافية وزيتية) ليس دراسة ولا قصة ولا رحلة ولا مسرحية ، وإنما هو سيرة حياة جيل بأكمله ، عاش فيه وعاشه أنيس منصور ٠٠

ولأنه فيلسوف وأديب وكاتب ، اتخذت كل كتاباته هذا الطابع المميز والتميز ٠٠ فالقصة عنده فلسفة ، والفلسفة عنده رواية ، والرواية عنده أدب ، والأدب عنده مقالة والمقالة عنده فكرة ، والفكرة عنده رحلة ، والرحلة عنده دراسة ، والدراسة عنده سياسة والسياسة عنده رأى والرأى عنده موقف وسيرة وحياة ٠٠

وهكذا أصبح أنيس منصور موسوعى الكتابة لأنه دائماً موسوعى القراءة ، يتمتع بذاكرة الكترونية سمعية وبصرية ، ويستمتع بذكاء فكرى واجتماعى على المستويين الجاد والترفيهى ثم هو يتمتع مستمعيه ومشاهديه بأحاديثه الفياضة الطريفة كما يشبع قرائه من خلال الصحف والمجلات والكتب بكتاباته الدسمة والخفيفة معا ٠٠

و «صالون العقاد» هو الكتاب الواحد والخمسين فى حياة أنيس منصور ٠٠ وقد عرف أكثر ما عرف من خلال كتب الرحلات (٨ كتب)

أبرزها : حول العالم في ٢٠٠ يوم (١٣ طبعة) وبلاد الله خلق الله وغريب في بلاد غريبة ٠٠ كما عرف من خلال دراساته التي سبق نشرها بالصحف والمجلات (٢٥ كتابا) أبرزها : وحدي مع الآخرين وعذاب كل يوم ويسقط الحائط الرابع وكرسى على الشمال وقالوا (٦ طبعات) ووداعا أيها الملل والذين هبطوا من السماء (٦ طبعات) ومن أول نظرة ٠٠ ثم عرف من خلال مسرحياته (٥ كتب) أبرزها : الاحياء المجاورة وحلمك ياشيخ علام ومين قتل مين وجمعية كل واشكر ٠٠ ومن خلال ترجماته (١٠ كتب) أبرزها : الامبراطور جونز وبعد السقوط وهي وعشاقها ٠٠ ومن خلال قصصه (٣ كتب) أبرزها : بقايا كل شيء وعزيزي فلان ٠٠

أما ما لم يعرف به أنيس منصور بعد فهو الشعر ، وديوانه الأول في الطريق الى الصدور ٠٠

هذا الجانب الشعري الذي ظل مختلفيا حتى قارب أنيس منصور عامه الستين واقترب منه ، لعله هو الجانب الأكثر تعبيراً عنه ٠٠ ذلك المجهول ٠٠ فبرغم الفلسفة الجافة وان استطاع أن يتخلص ويخلصها من جفافها ، وبرغم رئاسته المجهدة وان تمكن من الهروب منها وبها الى القراءة مع الساعات الاولى من نهار كل يوم ، وبرغم مسئولياته الجسيمة وان اراحه الله منها على غير رضى منه ، ظل الشعر عنده ومن عنده هو الملاذ وهو الخلاص ، راحة كل يوم من عذاب طول اليوم ٠٠

ولم يكن « صالون العقاد » هنا ، الا مناسبة للحديث عن أكثر رواده وخلصائه حبا ووفاء ، أنيس منصور ٠

غيد الصبور ، فارس اخلاصنا الجديدة

رحلت مبكرا وكنا نظن أننا الراحلون قبلك .. فقد كنت المثل
وكنْتَ الأمل ، كنْتَ الملاذ وكنْتَ الخلاص ، كنْتَ المرفأ وكنْتَ الربان ،
كنْتَ الفارس القديم وكنْتَ الفارس الجديد .. ولكنك تخلّيت عنا
فجأة ، كما تخلّيت فجأة عن نجمك الآخذ في الارتفاع ومجّدك الضارب
في الأعماق ، في وقت نحن فيه والشعر ، في مسيس الحاجة اليك :
نصيرا وناصرا ، وجسرا صلبا وممهّدا للصلة والتواصل بيننا ،
نحن المثقفين من جيلك والأجيال التالية ، بكل ما فينا من حساسية
مفرطة تعترينا الى حد المرض ، وبكل ما بداخلنا من قلق وتوتر ،
فكنْتَ الحصن الحصين والحارس الأمين ، الأب ، والأخ والصديق
والزميل ، تهديء من روعنا بهدوءك ، وتطيب خواطرنا بسماحتك ،
وتتلقفنا ببشاشتك ، تلبى طلباتنا ومتطلباتنا بغير كلل أو ملال .

لماذا اذن ضاق صدرك وذبح ، واحتقن دمك واحترق ، وجرح
كبرياؤك وطعن ، والتاع فؤادك واعتصر ، وتوقف نبضك وسكت
ونزف قلبك وصمت ، أمام بجاجة الموتورين المنهزمين الفاشلين
الهاربين .. أنت الصلب الصلب ، الصامد الصامت ، القانع المقنع ،
النجم اللامع ، الحقيقة والحق ؟

هل نطلب لهم - ونحن نودعك الى الخلد بقلوب ممزقة مؤمنة -
الرحمة والعفو ، لعلهم يندمون ، في وقت لا ينفع فيه الندم ؟!



وُثِّدَ الأَنْفَعَالَةُ وَلَكِنِّهَا لَا تُخْبِرُ ، فَصَلَّحَ عَبْدُ الصَّبُورِ بَاقَ
كَانَسَانٍ وَكَذَكَرَى وَصَلَّحَ عَبْدُ الصَّبُورِ بَاقَ كَشَاعِرَ وَكَكَاتِبَ مَسْرُحَى ،
وَصَلَّحَ عَبْدُ الصَّبُورِ بَاقَ كَمَسْئُولَ لَعِبِ دُورَا بَارَزَا وَمَلْمُوسَا فِى حَيَاةِ
الْمُتَقَفِّينَ وَعِلَاقَتَهُم بِالْأَجْهَازَةِ الرَّسْمِيَّةِ ، سِوَا فِي الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلتَّقَافَةِ
أَوْ فِي الْهَيْئَةِ الْعَامَّةِ لِلْكَتَابِ ٠٠

صَحِيحٌ أَنَّ صِلَاحَ عَبْدِ الصَّبُورِ ، رَحَلَ وَهُوَ فِي قِمَّةِ الْخُصُوبَةِ
وَالْعِطَاءِ ، فَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَقْدِمَ لِلشَّعْرِ وَلِلْمَسْرُوحِ الْكَثِيرِ وَالْكَثِيرِ جَدًّا .
وَلَكِنِ الصَّحِيحُ أَيْضًا أَنَّ مَا قَدِمَهُ مِنْ شَعْرِ وَمِنْ مَسْرُوحٍ يَكْفَى أَكْثَرَ
مِنْ شَاعِرٍ وَأَكْثَرَ مِنْ كَاتِبٍ لَكِي يَسْجُلُوا فِي تَارِيخِ الشَّعْرِ وَالْمَسْرُوحِ ،
عِلَامَاتٍ مُضِيئَةٍ لِمَذَاهِبٍ جَدِيدَةٍ وَمَدَارِسٍ حَدِيثَةٍ ٠٠ فَمَنْذُ الدِّيَوَانِ الْأَوَّلِ
« النَّاسُ فِي بِلَادِي » مَرُورَا بِدِيَوَانِي « أَقُولُ لَكُمْ » وَ « أَحْلَامُ الْمَفَارِسِ
الْقَدِيمِ » وَانْتِهَاءُ بِدِيَوَانِي « الْإِبْحَارُ فِي الذَّاكِرَةِ » وَ « شَجَرُ اللَّيْلِ »
وَهُوَ يَقُودُ حَرَكَةَ الشَّعْرِ الْحَرِّ الْجَدِيدِ ، قِيَادَةً وَاعِيَةً ، لَا تَتَفَرَّدُ
بِالْغُرُورِ وَالْإِنْتَانِيَّةِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْمُنَافَسَةِ ، بَلْ تَجْمَعُ حَوْلَهَا الطَّاقَاتِ
الْإِبْدَاعِيَّةَ الْمَوَاقِيَّةَ وَالْبِرَاعِمَ الشَّابَّةَ الطَّالِعَةَ ، فِي تَجْمَعٍ شَعْرِيٍّ يَبْنِي
وَلَا يَهْدِمُ ، يَعْمِقُ وَلَا يَسْطِجُ ، يَقْوَى وَلَا يَفْتَقُ ٠٠ وَلَآئِهْ أَحَبُّ الْجَمِيعِ ،
أَحْبَهُ الْجَمِيعُ ، وَلَآئِهْ أَخْلَصُ لِلشَّعْرِ ، وَضَعَهُ الشَّعْرَ عَلَى قِمَّةِ الْقَائِمَةِ ،
وَكَانَ جَدِيرًا حَقًّا بِأَمَارَتِهِ ، رَغْمًا عَنْ أَصْوَاتِ الْحَقْدِ وَالْكَرَاهِيَةِ
وَالْتَعْصَبِ وَالتَّحْزِبِ وَالتَّمَذُّبِ ، الْغَاشِمَةِ ٠٠

فَمَنْذُ الْمَسْرُوحِيَّةِ الْأُولَى « مَأْسَاةُ الْحَلَاجِ » مَرُورَا بِمَسْرُوحِيَّتِي
« بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ الْمَلِكُ » أَوْ « لَيْلَى وَالْمَجْنُونُ » وَانْتِهَاءُ بِمَسْرُوحِيَّتِي
« الْأَمِيرَةُ تَنْتَظِرُ » وَ « مَسَافِرُ لَيْلٍ » وَهُوَ يَمْدُ الْمَسْرُوحِ الْعَرَبِيَّ الْحَدِيثَ
بِتَيَّارِ جَارِفٍ وَنَبْضِ دَافِقٍ وَفَكْرٍ مُتَقَدِّ ، مُشْكَلا إِضَافَةً أَدْبِيَّةً وَفَنِيَّةً
سِوَا لِلْمَسْرُوحِ الدِّرَامِيِّ الْخَالِصِ أَوْ لِلْمَسْرُوحِ الدِّرَامِيِّ الشَّعْرِيِّ ، مِنْ
حَيْثُ الْمَضَامِينُ وَمِنْ حَيْثُ الشَّكْلُ ، فَكَمَا جَاءَ بِأَفْكَارٍ وَمَوْضُوعَاتٍ
وَشَخْصِيَّاتٍ جَدِيدَةٍ ، جَاءَ مُحَرَّرَا لِلشَّعْرِ مِنْ عَامُودِهِ وَقَوَافِيهِ

وأغراضه ليصبح ملائما للحوار والحركة ، سواء جاء الحوار على هيئة مونولوج أو ديالوج ، وسواء جاءت الحركة فردية أو ثنائية أو جماعية ، في موقع واحد أو أكثر وفي زمن محدد أو متعدد ٠٠

فإذا تناولنا مسرحياته الطويلة أو مسرحياته القصيرة ، وجدنا أنها تتفق جميعا في ملامح أساسية أبرزها « الرمزية » التي تمتد الى « التعبيرية » وقد تصل الى « السيريالية » دون أن يعنى ذلك أنها تحلق بالضرورة في عوالم الخيال مبتعدة عن أرض الواقع وأحداث الواقع ٠٠ فالحلاج قطعة من التاريخ الصوفي وليلى ومجنونها شريحة من الأدب العربى ، إذا سلمنا بأن الملك والأميرة والمسافر شخصيات خيالية تسبح في عالم الرمز ٠٠ علما بأن الحدث الرئيسى في كل مسرحية والذي تدور في فلكه الأحداث الفرعية ، إنما ينصب على الواقع المعاصر المعاش ليعبر عنه ويلقى الضوء عليه ويكشف جوانب منه بطريقة التلميح والاسقاط والاستهداف ، تارة بالاستشراف وتارة بالتحذير وتارة بالتوقع وتارة بالتقرير وتارة بالتنديد وتارة بالفرض وتارة بالاستنكار ٠٠ وهكذا ٠٠

ومن هنا يمكن القول بأن « مسرح صلاح عبد الصبور » إنما هو مسرح فكرى في المقام الأول ، اجتماعى بالدرجة الأولى ، وسياسى فى هدفه النهائى ٠٠ وأبرز دلائل على ذلك مسرحيته « ليلى والمجنون » التى كانت تعبر عن النكسة وتتنبأ بالمستقبل تحذيرا وتقريراً ٠٠ وليس أدل على ذلك من تقديم كل مسرحياته على خشبة المسرح المصرى ، بعد صدورهما فى طبعات متميزة ، وتقديم معظم هذه المسرحيات على خشبات المسارح العربية المختلفة وصدورها أيضا فى طبعات جديدة ، ثم ترجمة أغلب هذه المسرحيات الى عدد من اللغات الأجنبية مثل الفرنسية والانجليزية واليوغوسلافية والروسية والايطالية وتقديم عدد منها على مسارح باريس ولندن وموسكو وبلجراد وروما ونيودلهى وأمستردام ووارسو ٠٠ ولاشك أن رحيل الشاعر الكاتب

الفنان « صلاح عبد الصبور » فجأة ومبكراً ٠٠ وهو في عز العطاء
وقمة المنح وذروة الانفعال - سيزيد من الاهتمام بإعادة طبع أعماله
وترجمتها وتقديمها على خشبة المسرح ، ليس المصرى فقط ، وليس
العربى فحسب ، ولكن العالمى أيضا وكذلك ٠٠

تحية لروحه الطاهرة وذكره العطرة ، اعترافا بالفضل
والتفوق والمقدرة والجميل ٠٠

بعلبكي ٠٠ تحترق في قلب بيروت

بعد أن هدأت الحركة الثقافية والفنية في أعقاب حقبة زمنية شهدتها بيروت حافلة وخصبة وسخية في الأدب والشعر والمسرح ، بدأت حالات الاسترخاء تسود « شارع الحمراء » بمقاهيه الحديثة وقد امتلأت بالأدباء والشعراء والفنانين فضلا عن رجال الاعلام من مذيعين وصحفيين ٠ وفي ركن داخل أحد المقاهي الشهيرة التقيت بصاحبة « أنا أحيا » و « الالهة المسوخة » و « سفينة حنان الى القمر » الكاتبة اللبنانية الطموحة والمتحررة « ليلي بعلبكي » التي درست الآداب الشرقية بالجامعة اليسوعية ببيروت وحصلت على دبلوم فيها من السوربون تحت اشراف المستشرق الكبير « جاك بيرك » ٠٠

اما المجموعة الثالثة فقد صحبتها أحداث غيرت مجرى حياة الكاتبة كما غيرت أدبها لونا ومذاقا وأسلوبا ٠٠ فما أن ظهرت « سفينة حنان الى القمر » حتى صايرها المدعى العام اللبناني بدعوى الاساءة الى الاخلاق العامة لما فيها من اباحية خاصة بعلاقة الرجل والمرأة وبالحب ٠٠ وحوكمت « الفتاة » ولكنها برئت في الوقت الذي افرج فيه عن الكتاب المصادر ٠٠

هذه الاحداث وقعت عام ١٩٦٤ عام الحزن والسأم بالنسبة للكاتبة ، وهو ايضا عام زواجها ٠٠ وشارك الثلاثة ، الحزن والسأم والزواج في اعاققتها عن الكتابة وابعادها طوال السنوات الثماني التالية عن الحياة الثقافية بعد أن عملت فترة قصيرة بمجلة « الاسبوع العربي » اللبنانية ٠٠

أقول « ليلى بعلبكي » عن « الزواج » انه شر لأبد منه لانجاب الأطفال فهي تحب الأطفال ، رغم ان الأمومة تجربة قاسية وعائق قوى فى وجه الابداع ، ولأن الفتاة الشرقية لا يمكن أن تكون أما بدون زواج فأنها تدفع ثمن الأمومة بالزواج أو تدفع ثمن عدم الزواج ، الا أن الزواج الحر أو غير الرسمي ليس حلاً على الإطلاق .. والمرأة فى كل هذا هى ضحية الطبيعة ، وخاصة اذا كانت مبدعة .. فأشهر الحمل والولادة والنقاهة فضلاً عن ساعات العمل اليومية المخصصة للبيت والأطفال ، عوائق لا يتحملها الرجل .. وعن هذه التجربة ، تجربة الزواج ، كتبت « ليلى بعلبكي » رواية تسجيلية بعنوان « يوميات امرأة ممددة على ظهرها » .. وهى أول رواية لها بعد مجموعاتها القصصية الثلاث وأول عمل تعود به الى الحياة الثقافية بعد ثمانى سنوات من الحزن والسأم والزواج .. كانت « ليلى بعلبكي » فى حاجة الى تجربة جديدة وكانت تنتظر حتى تختصر التجربة فى حياتها وعلى قلمها لتقف منها موقف الشاعر المتأمل والمفكر .. لا موقف الروائى أو الكاتب المعلق .. فكتبت قصة قصيرة نشرتها فى « ملحق النهار » بعنوان « رصاصه .. رصاصتان .. ثلاث » أثارت جدلاً طويلاً وتفسيرات مختلفة تركزت حول معنيين محددين أولهما القتل وتانيهما الانتحار .. والواقع أنها كانت تعنى « الثورة » .. كما كانت تدعو الى الانتظار حتى يستنشق الوطن العربى رحيق الحرية فيسمح للكاتب بأن ينفذ وينتقد معا عن نفسه وعن الأوضاع من حوله .. غير أن « نكسة ٦٧ » التى جاءت مفاجئة وعاصفة ومروعة خيبت الآمال وأصابها الجميع بصدمة ذهول وانطواء ..

وعندما انتهت « ليلى بعلبكي » من كتابة روايتها « امرأة ممددة على ظهرها » عام ١٩٧١ ، لم تجد من ينشرها الا بشروط اعتادت هى أن ترفضها ، ولهذا قررت أن تنشرها على نفقتها الخاصة رغم أنها تكره هذا الأسلوب بالنسبة للكاتب ، كما تكره أسلوب الاستغلال

بالنسبة للناشر ٠٠ فمعظم الناشرين الآن يتاجرون فى النكسة
ويزايدون بها كما يتاجرون فى الرفض، رفض المبادرة ورفض السلام،
تحت شعار ، « السياسة » فالشعر سياسة والقصة سياسة والرواية
سياسة والمسرح سياسة والفكر سياسة وكل شىء سياسة فى
سياسة ٠٠

وانقطع الحوار ٠٠

بيتى ٠٠ مستشرق فى باريس

الدكتورة « أوديت بيتى » واحدة من المستشرقات اللاتى اهتممن بالأدب العربى والمصرى بصفة خاصة ٠٠ وهى الأستاذة المساعدة للمستشرق والمفكر الكبير « جاك بيرك » وقد تخصصت فى الدراسات اللغوية وأبرزها « علم اللغة » فطبقت نظريات هذا العلم الحديث على « أيام » طه حسين ، كما أصدرت دراسة اجتماعية ونفسية عن مدينة « الاغواط » الجزائرية .

والغريب والطريف معا أن الدكتورة « أوديت بيتى » مصرية الأصل والمولد ، درست بمدارس اللغىة المصرية ، ثم رحلت الى باريس لتستكمل دراستها وتستقر بها ٠٠ ولعل هذا هو سر اهتمامها بالأدب المصرى ٠٠

ودار بيننا هذا الحوار :

– ماهى أصول علم اللغة وكيف نتذوق هذا العلم ؟

هو علم معاصر يدرس فى أقسام عديدة مثل قسم الأصوات وقسم النحو وقسم المعانى . وقد أثر هذا العلم على جميع العلوم الانسانية الأخرى وبصفة خاصة على النقد الأدبى . وأهم من التذوق ، معرفة لماذا نتذوق ؟ هنالك فن ناتج عن اختيار الكلمات والتنسيق بينها . مثلما فعل طه حسين فى أعماله الأدبية و « الأيام » بشكل بارز ومحدد ٠٠ وهذا العلم يساعد بالتأكيد على تحليل الأدب ونقده علميا الى جانب القواعد الأدبية المعروفة والمستخدمة سلفا ٠٠

— هل قمت بتجربة دراسة نص بالعامية من خلال أصول علم اللغة ؟

في بداية أبحاثي عن علم اللغة العربية ، أجريت مقارنة بين اللهجة المصرية واللهجة الفرنسية في الأصوات ، فوجدت أن اللغة العربية لغة « حلقية » أي تتعلق بالحلق ، أما اللغة الفرنسية فهي لغة « لسانية » أنصح هذا التعبير ، لأنها تتعلق باللسان مباشرة . ولهذا يصعب تعليم اللغة العربية للفرنسيين وأن كان العكس غير صحيح ، فمن السهل أن يتعلم العرب اللغة الفرنسية .

— هل يوجد مستشرقون آخرون يدرسون اللهجات المحلية العربية ؟

هنالك بعض المستشرقين وعدد من الأبحاث . . وقد تذكرت الآن أني أجريت بحثا عن قبيلة جزائرية اسمها « المرازق » .

لم أسمع هذا التعبير ، رغم أهمية دور العرب الذين ينقلون الأعمال الغربية من لغاتها الأصلية كالفرنسية والانجليزية والاطالية والاسبانية والامانية والروسية مثلا الى اللغة العربية . . وأن كان هناك من يعترض على استشرق المستشرقين ، بدعوى أن الدارسين للغة العربية من غير العرب لا يمكنهم التعمق في أصولها والوقوف على خباياها . . ولكن من ناحيتنا فنحن نعترف بأن العرب الذين درسوا فيكتور هوجو وفولتير وغيرهم قد تفهمهم جيدا ونقلوا أفكارهم بامانة وصاغوا أساليبهم بدقة وحساسية .

بل أضيف أن المستشرقين قد لعبوا دورا هاما في نقل الأعمال العربية الى اللغات الأخرى بينما لم يقد العرب لنفسهم بمثل هذا الدور . . ولكن هل استطاع الأدب العربي ، من خلال المستشرقين ، أن يصبح عالميا ؟

الحضارة الإسلامية كان لها دور عالمي في العصور الذهبية ،
وينبغي أن يقوم الباحثون بتعريف هذا الدور أولاً ، لأن الإسلام أخذ
من الحضارات السابقة عليه ولكنه جاء بالجديد للحضارات
اللاحقة ٠٠

– لم يحصل أديب عربي على جائزة نوبل العالمية حتى الآن ،
فماذا نفسر ذلك ؟

جائزة نوبل العالمية ليست حكماً وليست محكماً ٠٠ واعتقد أن
للأدب العربي والثقافة العربية ، عبقرية خاصة لم يحس بها العالم ،
وعلى أن نعرف الجميع بهذه العبقرية ٠٠